

مختصر ابن كثير

- 35 - وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين .
- 36 - ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين .
- 37 - إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين .
- يخبر تعالى عن اغترار المشركين بما هم فيه من الإشراك واعتذارهم محتجين بالقدر بقولهم : { لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء } أي من البحائر والسوائب والوصائل وغير ذلك مما كانوا ابتدعوه واخترعوه من تلقاء أنفسهم ما لم ينزل به سلطانا ومضمون كلامهم أنه لو كان تعالى كارها لما فعلنا لأنكره علينا بالعقوبة ولما أمكننا منه قال تعالى رادا عليهم شبهتهم : { فهل على الرسل إلا البلاغ المبين } أي ليس الأمر كما تزعمون أنه لم ينكره عليكم بل قد أنكره عليكم أشد الإنكار ونهاكم عنه أكد النهي وبعث في كل أمة في كل قرن وطائفة من الناس رسولا فلم يزل تعالى يرسل إلى الناس الرسل بذلك منذ حدث الشرك في بني آدم في قوم نوح الذين أرسل إليهم نوح وكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض إلى أن ختمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم الذي طبقت دعوته الإنس والجن في المشارق والمغرب . { ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت } فكيف يسوغ لأحد من المشركين بعد هذا أن يقول : { لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء } ؟ فمشيئته تعالى الشرعية عنهم منفية لأنه نهاهم عن ذلك على السنة رسوله وأما مشيئته الكونية وهي تمكينهم من ذلك قدرا فلا حجة لهم فيها لأنه تعالى خلق النار وأهلها من الشياطين والكفرة وهو لا يرضى لعباده الكفر وله في ذلك حجة بالغة وحكمة قاطعة ثم إنه تعالى قد أخبر أنه أنكر عليهم بالعقوبة في الدنيا بعد إنذار الرسل فلماذا قال : { فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين } أي اسألوا عما كان من أمر من خالف الرسل وكذب الحق كيف { دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها } فقال : { ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير } ثم أخبر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن حرصه على هدايتهم لا ينفعهم إذا كان الله قد أراد أضلالهم كقوله تعالى : { ومن يرد الله فتنته فلا تملك له من الله شيئا } وقال نوح لقومه : { ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم أن كان الله يريد أن يغويكم } وقال في هذه الآية الكريمة : { إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل } . كما قال الله : { من يضل

ا { فلا هادي له ويذرهم في طيغانهم يعمهون } وقوله : { فإن ا } أي شأنه وأمره { لا يهدي
من يضل } أي من أضله فمن ذا الذي يهديه من بعد ا ؟ أي لا أحد { وما لهم من ناصرين } أي
ينقذونه من عذابه ووثاقه { ألا له الخلق والأمر تبارك ا رب العالمين }